المصـــــدر : الجزيرة
التـــاريخ : 16-07-2006 العـــدد : 123444
الصفحـات : 43 المسلسل : 293

العلاقات العربية - الفرنسية تتطور بشكل إيجابي منذ ديجول

شيراك يرسم ملامح دور فعال لباريس في المنطقة العربية

□ الجزيرة - القسم السياسي:

لاحظ المراقبون للأوضاع الدولية ميلاً فرنسياً تجاه العرب، وأثار الموقف الفرنسي في مجلس الأمن الدولي الرافض للاستخدام الفوري للقوة ضد العراق تساؤلات عديدة تتعلق بمدى قدرة فرنسا العملية على لعب دور قوي ومؤثر في المنطقة العربية.؟ ويرى مراقبون أن هذا الموقف الفرنسي يأتي بتأثر السياسة الفرنسية الحالية بالميراث الديجولي.

الميراث الديجولي

حافظت فرنسا عقب تأسيس الجمهورية الخامسة عام ١٩٥٨ وإطلاق الجنرال ديجول لقطار الوحدة الأوروبية على انتمائها للتحالف الرأسمالي الغربي، ولم تنضم إلى أي تكتل أو منظومة دولية من شأنها أن تواجه الولايات المتحدة، فحافظت على ارتباطاتها الغربية ولكن بصوت أكثر انفتاحا على الجنوب وبلدان الكتلة الاشتراكية، حيث حرصت على أن تتخذ كثيراً من مواقفها الاستقلالية عن الولايات المتحدة كالخروج عام ١٩٦٦ من التشكيل العسكري لحلف الأطلنطي - ثم عودتها عام ١٩٩٥ - ورفض إعطاء أسلحة لإسرائيل بعد حرب ١٩٦٧، ولكنها ظلت جميعها مواقف غير انقلابية على ساحة العلاقات الدولية وعلى مستوى العلاقات الأمريكية الفرنسية هذه المواقف لم تعن أنها كانت دون جدوى، بل على العكس كثيراً ما ساهمت في تخفيف حدة الإحباط لدى الشعوب العربية من السياسات الأمريكية، ولكنها لم تنجح في وضع مشروع مضاد للمشاريع الأمريكية، سواء بالنسبة لملف الصراع (العربي - الإسرائيلي) أو ملف الأزمة العراقية. وبدأت واشنطن ولندن عدوانهما على العراق بدون غطاء من مجلس الأمن بعد أن سحبا مشروع القرار، وقد كان الفيتو الفرنسي جاهزاً، وأي فيتو فرنسي في مجلس الأمن على قرار الحرب الأمريكي كان سيعني ضمنا حدوث (انقلاب) تاريخي في سياسة فرنسا الخارجية القائمة على ترشيد السياسات الأمريكية وكان زعماء فرنسا وألمانيا وبلجيكا ولكسمبورغ قد أعلنوا في بروكسل بعد الاحتلال الأمريكي للعراق قرارهم بتشكيل مقر قيادة عسكرية أوروبية، وخطط إنشاء نواة لوحدة تخطيط وقيادة مشتركة للعمليات العسكرية بمعزل عن

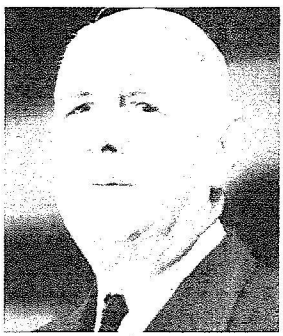

ديجول

حلف الناتو.

مرتكزات أساسية في السياسة الفرنسية

إن الرئيس الفرنسي (جاك) يكرر كثيراً أنه لا بد أن تكون السياسة العربية التي تنتهجها فرنسا أحد الأبعاد الأساسية لسياستها الخارجية، وفقاً للتوجيهات التي أعطانا إياها الجنرال ديجول عندما قال في عام ١٩٥٨: (كل الاعتبارات تقضي بأن نظهر من جديد في القاهرة، ودمشق وعمان، وفي كل عواصم المنطقة، كما كنا على الدوام في بيروت، أصدقاء وأعوان، وهي رؤية ما زالت توجه السياسة الفرنسية حتى الآن). ويقول محللو السياسة الخارجية الفرنسية: إن سياسة فرنسا تجاه العالم العربي ترتكز على عدد من المبادئ الكبرى، المستلهمة من علاقة رفيعة نسجها الفرنسيون والعرب منذ زمن بعيد: وأول هذه المبادئ يقضي بأن يتحاور الطرفان بصفتهما شريكين على قدم المساواة، يكنّ كل منهما للآخر المودة والتقدير. ولا بد لهذا الحوار أن ينمو في ظل الاحترام المتبادل لشخصية الآخر وهويته. والمبدأ الثاني: هو حرص

المصـــــدر : الجزيرة
التـــاريخ : 16-07-2006
الصفحـات : 43
العـــدد : 123444
المسلسل : 293

خادم الحرمين وشيراك خلال الزيارة السابقه

فرنسا على حق الشعوب في تقرير مصيرها بكل حرية، وتأكيد استقلالها وحقها في حياة آمنة، وتعتبر فرنسا أن هذا المبدأ الجوهري لا بد أن ينسحب على كل الشعوب دون استثناء.

والمبدأ الثالث: هو تأييد فرنسا لتطلعات الشعوب العربية إلى التضامن والوحدة.

والمبدأ الرابع: هو تأييد فرنسا لتطلعات العالم العربي إلى الانفتاح والسلام، وأن فرنسا إلى جانب كل من يحارب التطرف والتعصب وقوى الكراهية.

وتستمد هذه السياسة الفرنسية قوتها من عاملين أساسيين: أولاً: المعرفة القديمة المتبادلة بين الفرنسيين والعرب، التي عززت أواصر الصداقة بينهما على امتداد مئات السنين، التي تتسم اليوم بحيوية نابضة أكثر من أي وقت مضى، ثم إنه في فرنسا تتواجد في أكبر جالية مسلمة في أوروبا، تقدر بأربعة ملايين نسمة.

شيراك يكمل ما بدأه ميتران

نستطيع أن نقول: إنه منذ وصول شيراك إلى الحكم وهو يحاول رسم ملامح دور فرنسي جديد في العالم بشكل عام، والمنطقة العربية بشكل خاص، ويساعده على ذلك الإرث التاريخي الناجح لسلفه فرانسوا ميتران الذي كان ينتمي إلى المعسكر الاشتراكي، إلا أنه يعتبر أكثر ديجولية من اليمينيين أنفسهم، فالرئيس ميتران هو صاحب فكرة تصور أوروبي كبير يضع في الاعتبار المصلحة الأوروبية ويواجه تحادية الهيمنة الأمريكية التي تنبأ بها ميتران قبل تفكك الاتحاد السوفيتي، وكانت النتيجة هي الشكل الحالي للاتحاد الأوروبي. هذا الإرث ساعد شيراك على بعث الدور الفرنسي من جديد، خاصة أنه اكتشف أن النجاح الذي حققه ميتران ظل مقصوراً على شرق القارة الأوروبية، وبعض دول إفريقية كانت مستعمرات فرنسية وما زالت مرتبطة اقتصادياً وتاريخياً بفرنسا، فحاول شيراك البحث عن دور فرنسي في (الشرق الأوسط)، إلا أنه اصطدم بحائط أمريكي منعه من تفعيل خططه الطموحة.

فهذه المنطقة كانت وستظل مناطق نفوذ أمريكية غير مسموح بالاقتراب منها، إلا أن الإدارة الأمريكية -وعندما استشعرت خطراً حقيقياً من باريس- حاولت أن توجه

ميتران

عدة ضربات دبلوماسية تحت حزام الإليزيه، وبدأت بالجزائر، فعملت على تقليص النفوذ الفرنسي هناك، عن طريق الاستحواذ على عقود البحث والتنقيب عن النفط والغاز ومنحها للشركات الأمريكية، وهو الأمر الذي شكل خسارة فادحة للشركات الفرنسية التي كانت تحتكر هذه الصناعة لعقود طويلة ماضية. أكثر من ذلك، فقد نجحت واشنطن في صب الزيت على رماد العلاقات الفرنسية الجزائرية المتوترة في الأصل، وظهر الرئيس بوتفليقة أكثر من مرة في عدة لقاءات متلفزة ليؤكد حتمية الارتكان إلى الحائط الأمريكي، بعدما لاحت في الأفق بوادر تنسيق بين الجزائر وواشنطن فيما يخص وقف عنف الجماعات الإسلامية المسلحة التي رفعت السلاح في وجه الدولة، وهو الدور الذي راوغت باريس الجزائر أكثر من مرة بصدده؛ بل وخرجت أقلام جزائرية تتهم فرنسا بلعب دور في أحداث العنف التي تشهدها الجزائر.

فرنسا والقضية الفلسطينية

وبقدر ما يصرّ الموقف الفرنسي الرسمي على (حق إسرائيل في البقاء ضمن حدود آمنة) بالتنديد بالعمليات الاستشهادية، فإنه يؤكد على حق الشعب الفلسطيني في دولة مستقلة، ويشدد دائما على عدم المساس بالسلطة الفلسطينية. وعدم استهداف رمزها عرفات، ولعل هذا التركيز الخاص على رمزية عرفات يندرج في نطاق البحث عن نوع من الشرعية كمدخل لإثبات الحضور الفرنسي عن طريق ورقة السلطة الفلسطينية، للضغط على الطرفين الإسرائيلي والأمريكي، ولحماية المصالح الاستراتيجية الفرنسية في المنطقة.

ومعلوم أن فرنسا حريصة على دعم حضورها على كل المستويات، وإيجاد موقع لها في هذه المنطقة شديدة الأهمية وبالغة التعقيد، التي تُعدّ مهداً للأديان والحضارات، ومخزوناً للطاقة، وتريد ربط حضورها التاريخي في لبنان وسوريا، بحضور فاعل في الوقت الحاضر وفي المستقبل، يمتد من البعد الاستراتيجي الذي يكرّس القوة السياسية المعنوية لبلد عضو دائم في مجلس الأمن، إلى البعد الاقتصادي الذي يضمن الاستثمارات الفرنسية، خاصة في لبنان وفي بلدان الخليج، وبيع الأسلحة والتكنولوجيا الفرنسية، ومنافسة المنتجات الأوروبية والآسيوية، والمساهمة في إعادة تعمير العراق وإيران بعد الحرب التي دمرت البنية الاقتصادية والعسكرية لهذين البلدين، مروراً بالبعد الثقافي باعتباره مدخلاً أساسياً في إثبات مثل هذا الحضور عن طريق الوصول إلى العقول وإلى عالم الأفكار والتصورات، وكسب عاطفة الناس، واستثمار الفكرة الرائجة التي تصور فرنسا بأنها بلد حقوق الإنسان التي أفرزتها الثورة الفرنسية، ولأهلها ذوق رفيع وحس مرهف وسلوك حضاري متمدن، على عكس الأسلوب الأمريكي المرتكز على المظهر الخارجي للقوة العسكرية الضاربة، وعلى غرس ثقافة الدولار و(كوكاكولا) و(ماكدونالدز)، و(كاوبوي).

وإزاء حجم المصالح، تسعى فرنسا في عهد شيراك إلى تجاوز التحديات القائمة وتزعم الدور الأوروبي في (الشرق الأوسط) بخلقية اختراق الأحادية القطبية الأمريكية المهيمنة على صناعة القرار الدولي.